

في نور محمد فاطمة الزهراء

كلاب طراد مسورة، نشطت تتعقب المرتحلين، وتحاول أن تستيق دونهم جانب البحر قبل أن يبلغوه. فأيْ كلام! إنّها لترهف عرانيين أنوفها، وترفعها على رؤوسها، تتشمم الهواء، وتنشر أهداب جفونها شبكاً تقتنـص آثار الخطى المطبوعة على صفة الرمال، وتبسط آذانها كآذان الفيلة لتلتقط كلَّ حسيـس، طوت من الأرض ما طوت، ونشرت ما نشرت، وساحتـت حدّى أوشكـت أن تمشي على الماء. * * * ومن وراء سجوف[482] هذه المطاردة، وقفت فاطمة برفقة القلق، ترنو بعيدـون تصوّراتها إلى أختها رقيـة وهي تدبّ عثمان والطليعة المؤمنـة، بالظهر والقدم، بين الفجاج والمفاوز، على الحصـا والمـخـور، وفوق كثبان الرمل وجـبال الأمواج، صوب جنـّـتهم الحصينة التي اختارـها الرسـول. فيـا تـرى، ماذا أصاب أولئـك المـهاجرـين فيـا؟ أـسفـوف تـصلـ عنـهم الكلـاب؟ أـسـوف يـكتبـ لهم بلـوغ شـاطـئ الأمـانـ؟ طـويـلاً اـنتـظرـتـ، وـطـويـلاً رـاحـتـ تـتنـسـمـ الأخـبارـ، فـإـنـ يـكـنـ هـمـ يـنوـشـها مـخـافـةـ عـلـيـهـمـ، فـثـمـةـ أـسـىـ يـفـرـيـ قـلـبـهاـ منـ أـجلـ أـختـهاـ الحـبـيـبةـ التي تـتـهـيـأـ كـلـابـ الـطـردـ المسـعـورـةـ لـتـنـهـشـ جـسـدـ زـوـجـهاـ، فـتـأـيمـ وـتـلـبـسـ الثـكـلـ وـهـيـ بـعـدـ عـرـوـسـ، لـمـ تـنـعـمـ بـثـوـبـ زـفـافـهاـ إـلـاـ وـقـتاـ لاـ يـكـادـ يـحـسـ بـغـيرـ الأـيـامـ. فأـيـنـ مـنـهاـ الـآنـ صـحبـتهاـ الـحـلـوةـ؟ وـمـنـ لـهـاـ بـحـديـثـهاـ العـذـبـ الشـهـيـ؟ الـذـي طـالـمـاـ نـضـرـ صـباـهاـ، وـرـدـهاـ إـلـىـ ذـكـرـياتـ الطـفـولـةـ الـوـدـيـعـةـ؟ لـوـلاـ حـظـهاـ الـمـوـفـورـ منـ التـجـلـدـ وـالـاصـطـبـارـ لـمـاـ جـفـتـ عـلـىـ وـجـنـتيـهاـ الدـمـوعـ، لـوـلاـ